حالة متقدمة في الانتاج والنظام الاجتماعي ، بينما كانت طبقة ملاك الارض ممثلة لها في ذلك العهد . ونفس الشيء ، كان الفلاحون هم القوة الرئيسية في قلب حكم طبقة ملاك الارض الرجعي . ومع ذلك ، لم يستطع الفلاحون كسب النصر النهائي لان طبقتهم لم تمثل اية حالة متقدمة في الانتاج والنظام الاجتماعي . بل استطاعوا فقط قلب طبقة ملاك الارض تحت دكتاتورية البرجوازية (الثورة الديمقراطية القديمة) او تحت دكتاتورية البروليتاريا (الثورة الديمقراطية الجديدة) ، وتولد عن هذا النضال تأسيس اما دكتاتورية البرجوازية او دكتاتورية البروليتاريا .

ان البروليتاريا ، على عكس طبقة العبيد والفلاحين ، ليست طبقة مستغلة ومضطهدة فحسب، بل تمثل ايضا نظاما اجتماعيا متقدما في الانتاج والنظام الاجتماعي . انها تحمل اعباء المهمة التاريخية لهداية تقدم المجتمع نحو الشيوعية وتمثل المصالح الاساسية للكادحين . ان التناقض التي لا تغلب بين القوى المنتجة (انتاج اشتراكي ذو مستوى رفيع جدا) وعلاقات الانتاج (ملكية خاصة راسمالية) في المجتمع الرأسمالي لا يمكن ان تحله سوى البروليتاريا عبر الثورة الاشتراكية والشيوعية . وعليه ، ان البروليتاريا في نضالها ، بقيادة الحزب السياسي الماركسي ، ضد البرجوازية ، لا تستطيع فقط ان تتحد مع جماهير الشعب الواسعة والاطاحة بالحكم البرجوازي بواسطة الثورة العنيفة ، بل تستطيع بالتاكيد أيضا حكمها الطبقي وان تستبدل دكتاتورية البرجوازية بدكتاتورية البروليتاريا واستخدام النظام الاشتراكي لهزيمة النظام الراسمالي . هذا هو التيار الحتمي للتطور التاريخي والقانون الموضوعي الذي لا يقاوم .

لم يفهموا القضية الجذرية الاقتصادية الحقيقية لظهور ووجود الطبقات . واعتقدوا ان الطبقات قد « وجدت من الازل كله » و « ستبقى الى الابد » . ولم يعترفوا الا بصراع البرجوازية ضد الارستقراطية الاقطاعية بيد انهم انكروا ضرورة نضال البروليتاريا ضد البرجوازية . وكان مذهبهم في جوهره يهدف الى الدفاع عن دكتاتورية البرجوازية والنظام الراسمالي. وعلى النقيض جوهريا من مذهب هؤلاء المفكرين البرجوازيين ، فان توجيه ماركس حول الصراع الطبقي مرتبط كليا بنظرية دكتاتورية البروليتاريا .

لقد طبق وجهة نظر المادية التاريخية لكشف القانون الموضوعي المتحكم في بزوغ وتطور والغاء الطبقات ، وللاشارة الى نتيجة الصراع الطبقي الذي يقود بالضرورة الى دكتاتورية البروليتاريا ، ومن خلال هذه الدكتاتورية الى الغاء كل الطبقات والى المجتمع الشيوعي اللاطبقي .

وحول مسالة الدولة ، يهدف الماركسيون الى الغائها تماما ، لكنهم يؤكدون انه لا يمكن تحقيق هذا الهدف الا بالثورة المستمرة تحت دكتاتورية البروليتارية والغاء الطبقات تماما . ولهذا قال

لينين : « لا يستوعب فحوى تعاليم ماركس بشان الدولة الا الذي يفهم ان دكتاتورية الطبقة الواحدة ضرورية ليس فقط في كل مجتمع طبقي بوجه عام ، ليس فقط للبروليتاريا التي اسقطت البرجوازية ، بل أيضا لمرحلة تاريخية كاملة تفصل الراسمالية عن المجتمع اللاطبقي ، عن الشيوعية » . (الدولة والثورة) .

سؤال : لماذا قال ماركس « وجود الطبقات مرهون بفترات تاريخية خاصة في تطور الانتاج » ؟

جواب : هذا يعني ان الطبقات لم توجد لكل الوقت ولا انها ستخلد الى الابد . فوجود الطبقات ظاهرة تاريخية . مستوى تطور الانتاج الاجتماعي يحدد ظهورها وتطورها والغاءها . ولقد كان مستحيلا ان تظهر الطبقات ، في الحقبة الطويلة من المجتمع البدائي ، لانه لم توجد منتجات فائضة وفوق مستوى الانتاج المنخفض جدا كما لم توجد الظروف لنصيب الفرد من الثروة ومن اجل استغلال الانسان للانسان، وفيما بعد ، ومع ظهور الملكية الخاصة لوسائل الانتاج القائمة على المنتجات الفائضة الناجمة عن تطور الانتاج الاجتماعي ، ظهرت ظاهرة استغلال الانسان للانسان ودشنت السبيل للطبقات . ان الطبقات التي ظهرت في المجتمعات العبودية والاقطاعية والراسمالية كانت مختلفة بسبب المستويات المختلفة لتطور الانتاج . ومع ذلك ، ظهرت في ظل ظروف نما فيها الانتاج الى حد معين ولكن ليس كاملا . ان الطبقات ستفقد ظروف وجودها المادية وستلغى في النهاية عندما يتعاظم تطور الانتاج .

سؤال كيف نفسر دكتاتورية البروليتاريا على انها « تشكل فقط الانتقال الى الغاء كل الطبقات والى مجتمع لا طبقي » ؟

جواب : هذا يعني ان اقامة دكتاتورية البروليتاريا ليست هي نهاية الصراع الطبقي ، بل استمرار الصراع الطبقي في وضع جديد . ان المهمة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا هي « الغاء كل الطبقات » حتى يتمكن للمجتمع الانساني التقدم الى المجتمع الشيوعي اللاطبقي .

لقد اتخذت كل الثورات الماضية هدفها السياسي النهائي اقامة دكتاتورية طبقة معينة . وهذا ليس هو الحال مع الثورة البروليتارية . تهدف البروليتاريا من استيلائها على السلطة السياسية واقامة دكتاتوريتها ، الى مواصلة النضال ضد البرجوازية والوصول الى الهدف وهو الغاء الطبقات بتاتا . وفي الحقبة التاريخية للاشتراكية ، توجد البرجوازية والتربة المهيئة لها ، وثمة امكانية عودة الراسمالية في اي وقت . وبممارسة دكتاتورية شاملة ، بشكل دائب ومتواصل، على البرجوازية في كل المجالات والقيام بالثورة المستمرة تحت دكتاتورية البروليتاريا حتى النهاية يمكن فقط انجاز مهمة « الغاء كل الطبقات » التاريخية العظمى .

بين المجتمع الراسمالي والشيوعي تمتد حقبة من التحول الثوري من واحدة الى اخرى . وينطبق مع هذا ايضا حقبة انتقالية سياسية حيث لا تكون الدولة سوى دكتاتورية البروليتاريا الثورية . كارل ماركس : نقد برنامج جوتا (ابريل ـ اوائل مايو ١٨٧٥)

سؤال : لماذا تختلف الثورة البروليتارية عن الثورات الاجتماعية الاخرى في كون انه لا بد من حقبة انتقال ثوري بعد الاطاحة بالحكم البرجوازي ؟ هل تشير هذه الحقبة الى الحقبة التاريخية للاشتراكية ؟

جواب : فترة التحول الثوري كما ذكرها ماركس تشير الى فترة الاشتراكية ، اي مرحلة الشيوعية الادنى . مثل تلك الفترة ضروري الخصوصيات والمهمة التاريخية للثورة البروليتارية التي تختلف عن كل الثورات الاخرى الماضية . وكانت نتيجة الاخيرة احلال شكل من الملكية الخاصة محل الآخر . ولقد بزغت حالة الانتاج الجديدة وتطورت في المجتمع السابق لاندلاع الثورة . ولذا لم يكن ثمة داع للمرور عبر فترة انتقالية ، لتحقيق هدف الثورة ، رغم ان النضال السياسي كانت احيانا ضرورية . وعلى اية حال ، تهدف الثورة الشيوعية البروليتارية الى القضاء على الملكية الخاصة جملة وتفصيلا ، محققة الملكية العامة وازالة الطبقات والاستغلال الطبقي ازالة تامة . والغاء الطبقات التام مهمة تاريخية يحتاج انجازها الى حقبة اطول من الزمن . ومن الضروري القيام بسلسلة من الاصلاحات الاساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية وخوض صراع طبقي حاد ومعقد لا مثيل له ، بغية القضاء التام على الملكية الخاصة والطبقات والاستغلال الطبقي وكل الفروق الطبقية ، وازالة كل البصمات في المجالات الاقتصادية والمعنوية والروحية التي خلفها المجتمع القديم والقائمة على الملكية الخاصة ، وخلق الظروف المادية والروحية للشيوعية . من هنا تكمن الاهمية لفترة من التحول الثوري .

اشار لينين في « الدولة والثورة » بان الاعتراف او عدمه بانه يتحتم تاريخيا وجود مرحلة خاصة او فترة خاصة للتحول من الراسمالية الى الشيوعية هو المعيار الفاصل بين الاشتراكية العلمية والاشتراكية الطوباوية وبين الماركسية والانتهازية . ولهذا يزعم المحرفون مشوهين نظرية ماركس حول المرحلة الانتقالية ان هذه الفترة ما هي الا مرحلة انتقالية قصيرة وزائلة من الراسمالية الى المرحلة الشيوعية الاولى (الاشتراكية) . وهذه بالضبط نفس النغمة التي يعزفون عليها عندما ينفون الطبقات والصراع في المجتمع الاشتراكي وتصفية دكتاتورية البروليتاريا وتبني « دولة كل الشعب » .

اشار الرئيس ماو في عشية تحرير البلاد ، أشار قائلا : « كسب النصر على نطاق البلاد هو الخطوة الاولى في مسيرة العشرة آلاف ميل» (تقرير الى الدورة الموسعة الثانية للجنة المركزية السابعة للحزب الشيوعي الصيني) . وبعد الانتصار على نطاق البلاد ، حذرنا بجدية قائلا : « المجتمع الاشتراكي يغطي حقبة تاريخية طويلة نسبيا . ففي الحقبة التاريخية للاشتراكية ، توجد الطبقات والتناقضات الطبقية والصراع الطبقي ، وهناك الصراع بين الطريق الاشتراكي والطريق الراسمالي ، وهنا خطر عودة الراسمالية . ينبغي ان نعترف بطبيعة هذا النضال الطويل والمعقد » . ولقد اشار بمزيد من الوضوح ، الخط الاساسي للحقبة التاريخية الكاملة للاشتراكية الذي صاغه الرئيس ماو لحزبنا وسلسلة التوجيهات حول مواصلة الثورة تحت دكتاتورية البروليتاريا ، الى اتجاه مسيرتنا الى الامام .

سؤال : ما المقصود بفترة الانتقال السياسي ؟ ولماذا لا تكون الثورة في هذه المرحلة سوى دكتاتورية البروليتاريا الثورية ؟

جواب : تشير فترة الانتقال السياسي اساسا الى الفترة من قلب الدولة التي تحكمها البرجوازية الى ازالة الدولة نهائيا . لا تزال الدولة ضرورية في هذه المرحلة الانتقالية لتقودها الى نهايتها . ولن تكون الدولة في هذه المرحلة سوى انها دكتاتورية البروليتاريا . ذلك بسبب المرحلة الانتقالية « حتما انها فترة من الصراع الطبقي العنيف الذي لم يسبق له مثيل في اشكال حادة لا مثيل لها » . (الدولة والثورة ـ لينين) . وليس فحسب الاطاحة بحكم الطبقات المستغلة في العودة عند كل منعطف ، بل ايضا اليمين البرجوازي والبصمات المخلفة من المجتمع العائد والتربة التي تهيء عناصر برجوازية جديدة والراسمالية التي لا تزال حتما في المجتمع الاشتراكي . ومن هنا ضرورة ان تمارس البروليتاريا دكتاتورية شاملة على البرجوازية . ومن خلال الصراع الطبقي الحاد والطويل حيث تقهر البروليتاريا البرجوازية يمكن فقط تهيئة الظروف خطوة فخطوة حيث سيتعذر على البرجوازية ان توجد ، او ان تنهض برجوازية جديدة ، ويمكن انجاز التحول من الراسمالية الى المجتمع الشيوعي بالقضاء التام على الدولة .

ان الصراع بين الماركسية من جانب والانتهازية والتحريفية من الجانب الآخر قد تركز دائما حول التمسك بدكتاتورية البروليتاريا او معارضتها . ويبذل كافة الانتهازيين كل ما في وسعهم لتشويه وطمس جوهر هذه الدكتاتورية وينكرون ضرورتها . اثار لاسال ضجة كبيرة حول « الدولة الحرة » وطبل كاوتسكي « للطريق البرلماني » بينما روجت التحريفية « دولة كل الشعب » . اما ليوشاوش ولين بياو فقد زعقا وصرخا بلا حياء حول نظرية « صمود الصراع الطبقي » و « من يعتمد على الفضيلة سيتقدم ومن يعتمد على القوة سيزول » .

ان هدف هؤلاء الانتهازيين والمحرفين هو معارضة اقامة وتوطيد دكتاتورية البروليتاريا والدفاع عن الراسمالية واستعادتها . وكلما سعرت معارضتهم كلما ثبت انه لا بد من ممارسة دكتاتورية شاملة على البرجوازية في كل المرحلة التاريخية للاشتراكية . ان هذا ، الطعام واللباس ، لا نستطيع ان نستغني عنه ولو للحظة واحدة .

مجلة اخبار بكين
العدد ٤٠ ـ ١٩٧٥/١٠/٣
ترجمة : ابو خالد